ملح

قال طبيب لرجل ان امرأتك لاتزال مريضة وانها تموت اذا ذهبت لحضور التمثيل هذه الليلة . قال نعم انني اعلم ذلك ولكن اعلم انت انها تموت اذا لم تذهب

* * *

قال فتى لخطيبته انني اخشى ان لا نتفق بعد الزواج بسبب ان مذهبي غير مذهبك قالت هذا غير مهم ما دمنا كلانا نركب الدراجات

* * *

نصح رجل لاخر فقال له لا تتضع لاحد في زمانك خشية ان يصير الاتضاع ضعة قال وما برهانك على ذلك قال انني كنت اكتب لخطيبتي بتوقيع «خادمك المطيع» فلما تزوجتها اصبحت كذلك تماماً

* * *

تعرض احد اللصوص لمحام في الشارع فقال له المحامي من انت فقال له لص اريد سلب ما معك فضحك المحامي منه وقال له اذهب اذن الى شارع آخر فان هذا الشارع يخصني

ضاق مقام المجلة في هذا الشهر عن ذكر كتب الشهر وجرائده فنرجو المعذرة من اصحابها وموعدنا بها الجزء القادم ان شاء الله

أنيس الجليس

﴿ الجزء العاشر — السنة الرابعة ﴾

﴿ الاسكندرية في ٣١ اكتوبر (ايلول) سنة ١٩٠١ ﴾

﴿ الموافق ١٧ رجب سنة ١٣١٩ ﴾

غرائب الاعتقادات والاخلاق

ان الذي ينتقد اخلاق الناس وصفاتهم وعاداتهم ويقرن بين بعضها وسائرها يجد منها ما يقضي له بالعجب العجاب ويتحقق كل التحقق ان كل انسان مجنون وان صحيحاً ما قيل من ان الجنون فنون . فانك تشاهد الرجل الكامل العقل والرشاد يذهب به علمه في كل مذهب ويرسله ادبه وفضله الى حيث يريد من مراقي الادراك والفهم ثم تراه ملتزماً لحالة من ادنى الحالات مباشراً لطريقة من اقبح الطرائق كان يكون مقامراً او سكيراً او مزوراً خلاباً حتى انك لو لم تكن تدري ما هو عليه من الفضل لحكمت بانه من سوقة الناس وان السجن اولى به من المنزل . او ترى السري الوجيه ينفق الالوف ويقري الضيوف ويبذل بذل الآيس من دهره القانط من عمره ولكنك تراه بادياً في ادنى الملابس مقتراً على نفسه اشد التقتير حتى في ايام

مرضه وساعات اعتلاله ثم تلومه على ذلك ما تشاء فلا تجد الملامة سبيلاً الى فؤاده ولا في العذل باباً الى سمعه . وعلى الاجمال فانك لو عاشرت الناس كلهم لما وجدت احداً منهم خالياً من عيب كبير يقترن بفضل كبير حتى انك لو شئت لوم احد منهم على خلق لم يعجبك منه بالاضافة الى سائر اخلاقه لرماك بمثل هذا العيب فيك حتى تصبح وأياه سواء في تنافر الاخلاق وتباعد السجايا وتدري حينئذ ان النقائص لابد منها لاتمام الفضائل وان عيب الجنون الذي يشاهد بكل انسان انما هو من جملة تكملات الرشاد لانه الهاه عن استخدام كل قوى عقله في سبيل الفضل حتى لا يكون به ثم خور ولا اعياء يعجزه عن مباشرة نوع الفضل المشتغل به

الا ان شذوذ الاخلاق عن الاستقامة التامة وتنافر صحيحها مع فاسدها انما يعد مغتفراً يهون احتماله او السماع به لانه قد لا يكون ماساً الا بشخص صاحبه فقط ولكن الذي لا يغتفر ولا يهون سماعه واحتماله انما هو اقتران بعض البخل مع كل الكرم واتحاد شيء من الجهل مع كل العلم فاننا حين نسمع ان فلاناً الحاذق اللبيب والشاعر الالمعي الخطيب يكتشف بعلمه ادق الخفايا ويتصل بحذقه الى ابعد المطالب يعتقد مثلاً ان القمر مرآة والارض منبسطة والشمس حديدة حامية فانه يشق علينا ذلك منه جداً حتى نود لو لم يكن له فضل ولا استفدنا منه بشيء بل انه قد يبدو لنا بهذا الاعتقاد وهو كأنه من جملة اعدائنا الذين نود اذاهم مع انه لم يضر احداً فيجازى بضرر ولا صدق احد اعتقاده فنقول انه قد نشر الجهالة واعان على امتداد الغباوة ولكن شدة التنافر بين مداركه قد صيرته في تلك المنزلة بين العارفين . والذي يقال عن فلان في اعتقاده العلمي يقال عن غيره في اعتقاده الديني

واسفافه به الى ادنى مراتب الهمجية والوثنية ويقال عن غيره في اكثر الاعتقادات العالمية التي لا تنطبق بوجه على مبلغ فهمه وحد ذهنه

ولقد كان من ارادتنا زيادة في البرهان والدلالة ان نذكر بعضاً من علمائنا السابقين المشهورين بالفضل والحذق وما كان لهم مع فضلهم من فاسد الاعتقادات الطبية والعلمية والفلكية والدينية مما ينزلون به الى ادنى دركات الغباوة حتى لا يذكر لهم فضل ولكن كرامتهم تمنعنا عن ذلك فضلاً عن انهم معلومون واشتهار امرهم يغني عن ذكرهم

اما اتحاد بعض البخل مع كل الكرم فانه من اقبح صفات النفس واكثرها ايلاماً لعواطف السامع والرائي فانك تشاهد الرجل الموسر المنبسط الكف في كل حالة يخدع عن ماله فينخدع ويسأل منه بذل ما شاء فلا يمتنع ولكنه حين يقف مثلاً مساوماً بائعاً فقيراً على ادنى شيء فانه يظهر هناك في اقبح مظاهر الخسة والدناءة واللؤم محتالاً على الرخص بكل حيلة مجتهداً له باية وسيلة حتى لو تمكن من سرقة البائع وخداعه لاستحل ذلك وطابت عنه نفسه مع ان ذاك البائع قد يكون في حد المستكدي المتسول ولم تكن تلك السلعة الدنيئة التي يبيعها الا ستاراً شفافاً دون ظهوره بمظهر الشحاذ ولكن ذلك المشتري الذي وجدناه كريماً من قبل لا يلتفت ادنى التفات لتلك الحالة بل انه قد يضيع من ربح البائع ومن وقته هو نفسه ما لا يقاس بادنى قياس الى ذلك التوفير ولكنك حين تسأله في ذلك يقول لك انها المهارة في المساومة وانه الحق في البيع

ولقد تمادى كثيرون من أولي البذل في هذه المزاعم الفاسدة حتى افسدوا بها كل مكارمهم ومحاسن سجاياهم وتبعتهم سبة الابد الى الحادهم

منسياً لهم كل فضل واسعاف . وهي عادات يجري عليها البعض في بلادنا مقلدين بها بعض الافرنج على غير هدى ولا تبصر فترى الواحد منهم يسمع ان فلاناً الاوربي الغني لا يعطي الفقير درهماً الا اذا ادى به عملاً يستحق الدرهم بتمامه فيحاول تقليده بذلك حتى لا يعطي شحاذاً بارة مع ان التسول في اوربا محرم الا لاسباب هامة فاذا اعطي المتسول هناك كان العطاء اغراء له بالكسل في حين اذا لم يعط هنا كان ذلك سبباً للشقاء والجوع . ثم تراه حين يجلس في نادي قهوة يظن ان ثمن القهوة انما هو ثمن ايضاً لقراءة جرائدها فيجلس فيها ما شاء صبره واحتملت بلادته حتى يظفر بالجريدة ويقرأها ثم يذهب بعدها الى منضدة القمار وهناك يخسر ما شاءت خزانته من الدرهم والدينار . ثم انه يجلس لصبغ حذائه واجرة ذلك عشرون بارة فاذا اتفق ان كان معه ذاك المقدار عد ذلك راحة كبرى والا ناول الغلام غرشاً وطلب منه البقية فاذا اخذه انصرف والا الزم الغلام برد البقية واقام ينتظره واقفاً حتى يردها وكل هذا اعتقاداً منه بانه فعل الحق واقتدى باكابر الاوربيين في حسن التدبير والانفاق

ولقد سمع بعض أولي البذل والغنى عندنا ان الاوربيين مولعون بحسن التدبير وبالعلم المسمى بالتوفير والاقتصاد فظنوا ان كل شيء يكون منه توفير للشيء او اقتصاد في بذله انما هو الحكمة بعينها فترى الواحد منهم حين يريد اشعال سيكارته والمصباح موجود لديه والكبريت الى جانبه فانه لا يثقب عوداً من عيدانه بل يقوم من مجلسه وبين جلسائه فيشعلها من المصباح ولو احترق شاربه والتهب وجهه ثم يدعي مع ذلك انه احسن وانه وفر . وترى الواحد منهم اذا اراد كتابة شيء غير مهم فانه لا يكتبه على ورقة نظيفة مهما

كلفه ذلك من العناء بل يأخذ يفتش في دفتره وبين جيوبه ليرى ورقة تصلح لذلك مع انه قد يكون تكلف من اضاعة الوقت وعناء النفس ما لا يذكر بشيء لدى ذاك الفرق . وكل هذا بدعوى انه قلد غيره او لانه مجنون ليس الا . ولقد كاد احد الاغنياء الباذلين ان يطرد كاتبه القديم مرة لانه كتب الى احد المتعاملين معه كتاباً على طلحية مزدوجة بدعوى انها مفردة تكفي وانه يريد ان يعلمه الاقتصاد مع انه قد يكون معلماً اياه قلة التأدب والتصرف لانه ربما تمادى في اقتصاده فتصرف من ذلك بما يصح وما لا يصح . وكل هذه الدنايا من اجل تقليد الغربيين في ادنى حالة من حالات توفيرهم مع نسيان سائر الحالات التي يوفر المال بها من شيء لانفاقه في ذاته فيما هو افضل منه

على ان لبعض الغربيين مثل هذه الدنايا ولكنها معدودة منهم جنوناً شائناً وليس حكمة ورأياً ولولا ذلك لما دونت عنهم في مقام الغرائب ولا عدت لهم شيئاً بالقياس الى سائر اطوارهم واخلاقهم . ولقد حدثوا عن غلادستون نفسه انه كان يقيم المدة الطويلة وهو يبري قلمه الرصاصي على كيفية لا يؤخذ بها منه الا المقدار المطلوب لرسم الحروف على الورقة وكان يبالغ في ذلك جهده على ضيق وقته واشتغاله بجسيمات الامور ورووا عن غيره من العظماء والاغنياء ما لا يقل غرابة عن ذلك . ولكن كل هذا اذا كان صادراً عن قوم مشهورين بالكرم والبذل فانه معدود منهم جنوناً محضاً لا يحسن تقليده ولا الجري عليه واذا كان صادراً عن موفرين مقتصدين كان نهاية الحسة والضعة . ولهذا يحسن بالمقلدين عندنا لهذه الاعتقادات والطرائق ان يقلعوا عنها لانها ان عدت جنوناً كانت عيباً وان عدت خسة كانت اشد

من العيب . ثم هي لو كانت تصدر من مثل الفقير المعوز والجاهل العقيم الذهن لعذرنا اربابها او لم تكن منهم مهمة لنتكلف لها مثل هذا الفصل ولكننا على ثقة ان هذا المبدأ الذميم شائع عند كثيرين من أولي البذل بيننا على غير طريقة معينة ولا اسلوب مقبول ولهذا ظهرت مباينة لطباعهم ومؤذية لرائيها والسامع بها مسببة اشد الكره والعداء لصاحبها فكأنه بذلك قد وفر ادنى المال ليشتري به اجل العار . واذا كان هذا مما يرضاه بخلاء التجار فليس مما يرضاه اولو البذل واليسار

فوائد الغرباء

الدنيا صنع الله وحده وهي للناس جميعهم لايختص بطرف منها قوم دون قوم ولا ينفرد شعب بجهة فيها دون شعب الا اذا كان ذلك من قبيل تأثير الاقليم ووجوب اتباع الدرجة واما ما سوى ذلك من فوائد الدنيا فانها ينبغي ان تكون شائعة بين جميع الناس ينالها كل واحد منهم على حسب جهده ومبلغ تحصيله فاذا استطاع ابن مصر ان ينال بحذقه من ارض الصين ما لا يناله الصيني نفسه كان ذلك له حقاً اكيداً لانه نال ما يجب له وحصل ماينطبق على قدر كده وتدبيره . واذا قالوا ان حب الوطن من الايمان حملاً لكل انسان ان يدافع عن منزله او يحب جاره فكذلك يقال ان كره الاجنبي في بلاد معدود من الكفر لان الدنيا كما قلنا لله وهو يريدها بعدالته ورحمته ان تكون لعبيده على السواء

على ان البعض من المغالين في الوطنية بكل بلاد لايعتقدون هذا الاعتقاد بل يرون ان كل صقع يجب ان يكون مخصوصاً باهله الذين القتهم الاقدار فيه سواء كانت زائدة خيراته عليهم او ناقصة دون حاجتهم وسواء امكنهم استخراجها والانتفاع بها وحدهم او لم يمكنهم . وهذا يعتبر في حد الحقيقة ظلماً واضحاً وان به وحده تعتبر الممالك المتمدنة ظالمة لسواها باحتلالها وحكمها مع انها لدى الحق عادلة محسنة لانه ليس من العدالة ان تكون ارض كذا مخصبة مقبلة واهلها لايعرفون كيف يزرعونها ويستنتجون خيراتها كما انه ليس من الظلم لو جاءها غير اهلها ليستفيدوا منها ويفيدوا . وهذه البلاد الاميريكية من اصدق الشواهد على ذلك فان اوربا لو جرت معها على موجب العدالة المزعومة الظاهرة لتركتها لاهلها لاغبياء يأكلون وحوشها وتأكلهم او يأكل بعضهم بعضاً حتى يبيدوا ولكنها جرت معها على حسب العدالة الحقيقية التي يرضاها الله والناس فنزلت فيها وانتفعت منها وهي للان لاتزال تؤوي اليها جماهير الالوف والملايين من المهاجرين الذين هم كل سكانها الحاضرين المالكين الدنيا بمحاصيل ارضهم بحيث كان الواحد منهم نافعاً لاحاد من سائر الارض ولو لا هذا الظلم الظاهر لكانت حال الدنيا في اشد من الظلم الحقيقي المؤثر

ثم ان هجرة الناس من بلاد الى بلاد اذا كانت تفيد اكثار المنافع للجميع فانها قد صارت تفيد أيضاً نقل العادات والصناعات من موضع الى موضع ومن شعب الى شعب بحيث صارت كل بلاد فيها غرباء من كل الدنيا وهي كأنها الدنيا كلها لانها قد حوت جميع صنوف اهلها وجميع صناعاتهم وطرق معايشهم فصار كل فرد فيها كأنه متنعم بكل محاسن الدنيا باسرها اذ